غزة في ظلال رحيل السيد رئيسي

حسين البطش/ حرصت الجمهورية الإسلامية منذ الثورة الإسلامية، التي نجحت عام ١٩٧٨م، على تحويل نظام الشاه البائد الموالي لأميركا و"إسرائيل" إلى ثورة تعادي "إسرائيل" وتواجه الظلم الأميركي ضد الشعب الفلسطيني، وتحالف فلسطين وتنصرها.

ومنذ إعلاء الإمام السيد روح الله الخميني مبادئ الثورة، وأهمها أن تكون فلسطين وقضية المسلمين المركزية القدس واحدة من أهم القضايا التي تحرص إيران على دعمها وتبنيها دعما لم يقتصر على نوع أو شكل محدَّد من أشكال الدعم، بل كان دعماً غير مجدود، منذ هذا التاريخ لم يظهر هناك تذبذب في قوة هذا الدعم سلباً، حتى مع تغير فترات الحكم في إيران، ولاسيما بعد رحيل الإمام روح الله الخميني، ومع تولي سلفه الإمام علي خامنئي، وبقيت مبادئ الثورة تتخذ فلسطين قضية مركزية لها.

وعلى رغم تعاقب الرؤساء على إدارة البلاد، سواء ممن ينتمون إلى التيار المحافظ أو الإصلاحي بقيت فلسطين حاضرة في تفاصيل المشهدين السياسي والانتخابي في إيران لسبب أن واحداً من معايير اختيار الشخصيات لخوض سباق الرئاسة هو مدى انحياز هذه الشخصية إلى فلسطين، وتبني مبادئ الثورة الخاصة بهذه القضية.

السيد الرئيس الراحل إبراهيم رئيسي كان من أكثر الرؤساء حضوراً في فلسطين وانفتاحاً عليها وعلى قيادتها، وكانت حرب طوفان الأقصى بالون اختبار بصورة تاريخية وعملية لمواقف إيران ومحور المقاومة بشكل عام، والسيد إبراهيم رئيسي بشكل خاص، والذي لم يتردد لحظة في إعلان مواقف صريحة وواضحة داعمة لحق الشعب الفلسطيني في مقاومة العدو الإسرائيلي، وأوفد وزير خارجيته الراحل حسين أمير عبداللهيان عدة مرات إلى المنطقة للقاء قادة محور المقاومة وقادة المقاومة في فلسطين منذ السابع من أكتوبر، وجال في العالم مدافعاً عن قضية الشعب الفلسطيني وحقه.

من المواقف الأبرز والأهم التي ميزت الرئيس الراحل عن أسلافه من الرؤساء في إيران هو اختياره أن يكون ضيفاً وخطيباً عبر الفيديو في احتفال جماهيري أقيم في قطاع غزة بمناسبة يوم القدس العالمي، بحيث نظمت اللجنة الفلسطينية ليوم القدس العالمي احتفالاً جماهيرياً بهذه المناسبة وسط حضور الآلاف من المشاركين بتاريخ الـ ١٤ من نيسان/أبريل ٢٠٢٣، في ملعب فلسطين الدولي، وصفه حينها الإعلام الإسرائيلي بالخطاب غير المسبوق. أكد يومها الرئيس الراحل في كلمته، وهو مرتدٍ الكوفية الفلسطينية، مبادئه الثابتة تجاه القضية الفلسطينية ودعم إيران اللامحدود لمقاومة الشعب الفلسطيني، وسط ترحيب وهتاف من الحضور فخراً بما يقول.

> حضور الرئيس الراحل في تفاصيل القضية الفلسطينية في حرب الشهور الثمانية على غزة كان مؤشراً على ثبات الرجل على رغم حالة التحريض والتهويل والهجوم الإعلامي الأميركي والصهيوني والغربي على إيران بعيد عملية طوفان الأقصى

هذا الظهور للرئيس الإيراني لم يكن عادياً، فهو أول خطاب سياسي لرئيس في العالم كله يُبَثّ في قطاع غزة، وكان موجَّهاً إلى أهل غزة، وإلى عموم الشعب الفلسطيني في القطاع، الذي يُفرض عليه حصار غير مسبوق منذ عام ٢٠٠٧، في تحدٍّ سياسي لهذا الحصار الظالم. حضور الرئيس الراحل في تفاصيل القضية الفلسطينية في حرب الشهور الثمانية على غزة كان مؤشراً على ثبات الرجل على رغم حالة التحريض والتهويل والهجوم الإعلامي الأميركي والإسرائيلي والغربي على إيران بعيد عملية طوفان الأقصى، ومحاولة تحميل إيران مسؤولية ما حدث كونها داعمة أساسية للمقاومة.

هذا التحريض، الذي كان سيكون له ثمن كبير، سياسياً واقتصادياً، بالإضافة إلى ما تواجهه إيران من عقوبات بسبب هذا الدعم لفلسطين، لم يدفع إدارة الرئيس رئيسي إلى التنصل من دعمها للمقاومة وتبنيها، ومواصلة هذا الدعم المعلن، على رغم إعلانها أنها ليست جزءاً من التخطيط لهذه العملية، وهي إبداع فلسطيني بصورة كاملة

ولم يقتصر هذا الدعم عند هذا الحد، فبات محور المقاومة، الذي ترعاه وتدعمه إيران، منخرطاً بصورة كاملة في هذه المواجهة، ويدفع فيها ثمناً، وتدفع "إسرائيل" ثمناً، من لبنان إلى اليمن إلى العراق. وبذلك تكون إيران، بزعامة مرشدها الإمام علي خامنئي، وبعده الرئيس الراحل إبراهيم رئيسي وإدارته، نجحت في أهم الاختبارات التي واجهت وحدة محور المقاومة وتماسكه وقوته.

ومن أبرز ما ميز هذه الفترة الرئاسية هو الهجوم الصاروخي الإيراني على "إسرائيل" رداً على قصف سفارتها في دمشق. وقُدِّر لي أن أرى من سماء غزة صواريخ إيران تسقط في أراضينا المحتلة، وعلت تكبيرات أهل غزة فرحاً وفخراً بهذا الهجوم.

رحيل السيد رئيسي بلا شك خسارة كبيرة لإيران أولاً، ولفلسطين ثانياً، لكن تبقى آمال الفلسطينيين أن تُفرز إيران رئيساً، كما رئيسي، محباً وداعماً لفلسطين، ومنتمياً إليها.

بعد رحيل رئيسي هل نشهد تغييراً في السياسة الخارجية لإيران؟

أحمد محمد / الزلازل والفيضانات، بل وجرائم القتل، هي كوارث طبيعية، وجرائم عادية، الا انها لن تكون كذلك لو حدثت في ايران، فكل شيء حينها يأخذ طابعا سياسيا، فما بالك لو كان الحدث استشهاد الرئيس الايراني ابراهيم رئيسي ووزير الخارجية حسين اميرعبداللهيان ورفاقهما الابرار، في حادثة تحطم الطائرة؟. ويكفي ان يتلف شخص ما ساعة من وقته ويستمع الى هذيان وسائل الاعلام الغربية والعربية الموالية للغرب، حتى يتلمس حجم الحقد والاحباط واليأس والبؤس، الذي ينخر عقول أصحابها، بسبب قوة ايران، التي دفعت ومازالت تدفع اثمانا باهظة، من اجل الدفاع عن قضايا الامة الاسلامية، ومن اجل الحفاظ على قرارها السيادي، ورفضها التبعية لامريكا والغرب.

اكثر هذيان وسائل الاعلام الغربية والعربية التابعة لها غرابة تجسد في تحليلاتها الجوفاء، عن غياب رئيسي واميرعبداللهيان، وتأثير هذا الغياب على السياسة الخارجية لايران، وان طهران قد تغير من موقفها الداعم للقضية الفلسطينية، وكذلك الموقف من امريكا، ومن باقي الملفات الاخرى كالملف النووي.

من الواضح، ان كل هذا الهذيان، هدفه الاول التشكيك بمواقف ايران المبدئية من القضية الفلسطينية، ورفض الهيمنة الامريكية، واظهار ايران على انها اصيبت بمقتل بسبب الحادث، وانها باتت ضعيفة الى الحد الذي يمكن ان تتنازل عن مبادئها ازاء القضايا الخارجية الحساسة، من اجل تجاوز هذا الظرف الصعب.

لقد فات هؤلاء، انه مهما كان حجم الفراغ الذي تركه الشهيدان رئيسي واميرعبداللهيان، كبيرا ، الا ان الدستور الايراني، كفيل بملء هذا الفراغ، فهناك النائب الاول للرئيس الذي سيتكفل ادارة شؤون البلاد بنفس طاقم الشهيد رئيسي، كما انه تم تعيين السيد محمد باقر كني، نائب وزير الخارجية ، وزيرا مؤقتا للخارجية، خلال فترة ٥٠ يوما، والتي ستجري في نهايتها انتخابات رئاسية، سيختار فيها الشعب الايراني رئيسا جديدا لايران، التي تزهو برجال من امثال الشهيدين رئيسي واميرعبداللهيان.

هذا اولا، ثانيا، نوجه كلمة الى الاشخاص الذين يجهلون طبيعة النظام الاسلامي في ايران، وكذلك الى المغرضين والحاقدين، ونقول: ان ايران دولة مؤسسات، ولم تكن يوما دولة اشخاص، فهي تعتمد في رسم سياساتها الكلية والخارجية، على مراكز صنع القرار، وفي مقدمتها مؤسسة القيادة وشخص الولي الفقية، وكذلك المجلس الاعلى للامن القومي، ومجلس تشخيص مصلحة النظام، ومجلس الشورى الاسلامي.

> ان ايران دولة مؤسسات، ولم تكن يوما دولة اشخاص، فهي تعتمد في رسم سياساتها الكلية والخارجية، على مراكز صنع القرار، وفي مقدمتها مؤسسة القيادة وشخص الولي الفقية، وكذلك المجلس الاعلى للامن القومي، ومجلس تشخيص مصلحة النظام، ومجلس الشورى الاسلامي

لذلك سوف لن يكون هناك ادنى تغيير في القضايا الدولية والاستراتيجية المهمة مثل دعم القضية الفلسطينية والموقف من السياسات الأميركية والقضية النووية، ودعم المقاومة في المنطقة، فمثل هذه القضايا لاتعتمد على رؤية شخص رئيس الجمهورية.

كمثال عملي بسيط على ان السياسة الخارجية لايران هي سياسة ثابتة متواصلة متراكمة ، فخلال عقود طويلة وصلت شخصيات اصولية واصلاحية الى منصب رئاسة الجمهورية، الا ان هؤلاء الرؤساء، ساروا على نهج واحد موحد، في دعم القضية الفلسطينية، فالقوة والتسليح الذي وصلت اليه المقاومة في فلسطين المحتلة، لم تكن وليدة فعل رئيس ايراني واحد، بل مجموعة رؤساء، فعملية دعم المقاومة استغرقت وقتا طويلا، حتى وصلنا الى اليوم الذي صمدت فيه المقاومة الفلسطينية هذا الصمود الاسطوري في غزة، حيث مازال الكيان الاسرائيلي وامريكا والغرب عاجزين عن تركيع المقاومة في غزة.

مهما اختلفت رؤية الرؤساء الايرانيين، ازاء بعض القضايا الداخلية، مثل الاقتصادية والاجتماعية، الا ان رؤيتهم الى القضية الفلسطينية، هي رؤية المنفذ لاستراتيجية ثابتة تعتمدها الجمهورية الاسلامية كمبدأ ثابت لا يمكن ان تحيد عنه، وقد دفعت ومازالت تدفع اثمانا باهظة، بسبب هذه المبدئية، ومنها ثمن الحصار الظالم المفروض على الشعب الايراني منذ عقود بذرائع شتى.

الجمهورية الاسلامية في ايران، واجهت خلال العقود الاربعة الماضية، تحديات ضخمة، مثل الحرب التي فرضها النظام الصدامي عليها بدعم امريكي غربي، واغتيال رئيس الجمهورية محمد علي رجائي ورئيس الوزراء محمد جواد باهنر ورئيس السلطة القضائية محمد حسيني بهشتي والعديد من الرموز الدينية والوزراء والنواب، الا انها تجاوزتها جميعا دون ان تتخلى عن مبادئها، التي اثبت التجارب صوابيتها ونجاعتها.

من المؤكد ان الحكومة الايرانية الحالية برئاسة الرئيس المؤقت مخبر، ووزير الخارجية المؤقت باقري كني، وكذلك الحكومة التي ستأتي بعد الانتخابات، ستواصل نفس نهج رئيسي واميرعبداللهيان، على صعيد السياسة الخارجية، حيث سيتم متابعة القرارات المؤسساتية، مثل تطوير علاقات ايران الاقليمية والدولية ،اعتمادا على مبدئين الاول "النظر شرقا" و"الجيران أولا"، بهدف تعزيز العلاقات الاقتصادية مع دول الجوار، وكذلك مع روسيا والصين.

اخيرا، كان استقبال قائد الثورة الإسلامية الامام آية الله السيد علي خامنئي، للسيد إسماعيل هنية رئيس المكتب السياسي لحركة حماس، في نفس يوم تشييع الشهيد رئيسي، لافتا، كما جاءت تصريحات سماحته لافتة ايضا، عندما اكد للسيد هنية:"ان السيد مخبر، المسؤول عن الشؤون التنفيذية للبلاد وفق الدستور، سيواصل سياسات وتوجهات الرئيس الراحل تجاه فلسطين بنفس الحافز والروحية".